المبحث السابع

أثر السياق القرآني

في أسلوب الاستفهام

أسلوب الاستفهام أحد أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فِيه طلب الإفهام والإعلام لتحصل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم يُعرف بها عمّا طلب، وَقَدْ يراد بالاستفهام غير المعنى الأصلي له، ويستدل على المعنى المراد بالقرائن القولية أو الحالية[1].

والاستفهام هُوَ طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته[2].

وَهُوَ إمّا أن يكون استفهام عن الحقائق فهو بالأسماء نحو: (من هَذَا، من ذاك) أو أن يكون لأمر عارض فهو بالحروف، نحو: (أقام زيداً أم قعد)، استفهام عن حالة، وإن كَانَ المقصود طلب التحصيل[3].

وأدوات الاستفهام هي:

الهمزة، وهل، ومن- وما- ومتى- وأيّان- وكيف- وأين- وأنّى- وكم- وأي. واسم الاستفهام له الصدارة فِي الكلام[4].

---

(١) ينظر: البلاغة العربية: ١/٢٥٨.

(٢) جواهر البلاغة: ٧٨؛ علوم البلاغة: ٦٤؛ المنهاج الواضح للبلاغة: ٢/٩٥؛ البلاغة الواضحة: ٢٢١.

(٣) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ١/٢٦.

(٤) ينظر: البلاغة العربية: ١/١٤٥.

وهذه الأدوات تقع فِي أقسام ثلاثة[1]:

– **القسم الأول**: ما يستفهم به عن التصور والتصديق، وَهُوَ (همزة الاستفهام) فقط، وَهُوَ حرف لا محل له من الإعراب فِي الجملة، والهمزة أصل أدوات الاستفهام كلها.

– **القسم الثاني**: ما يستفهم به عن التصديق فقط، وَهُوَ لفظ (هل) وَهُوَ حرف أيضاً، ولا محل له من الإعراب فِي الجملة.

– **القسم الثالث**: ما يستفهم به عن التصور فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعها أسماء، وهي: (من– ما– أي– كيف– كم– أين– أنّى– متى– أيّان.

و**التصور**: هُوَ إدراك المفردة، بمعنى أن يكون هناك نسبة، فـــ(القرآن)، (محمد)، و(زيد)، (عمرو)، ونحوها كلها مفردة فِي تصورها.

والتصديق: هُوَ إدراك النسبة الحكمية، أي نسبة الفعل إلى الفاعل، أو المبتدأ إلى خبره فـــ(الله عليم)، (زيد قائم)، (محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ونحوها كلها نسب فهي تصديقات. والتصديق يكون موجب (أثبات) كـــ(محمد رَسُوُلُ اللهِ)، ويكون سالب (نفي) كـــ(أبو جهل فاسق).

وخلاصة القول: إنّ العلم إذا كَانَ إذعان فهو تصديق وإلا فهو تصور[2].

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٠٨؛ جواهر البلاغة: ٧٨؛ علوم البلاغة: ٦٤؛ البلاغة العربية: ٢٥٨/١؛ الإيضاح فِي علوم البلاغة: ٥٥/٣– ٥٧؛ الخلاصة فِي علوم البلاغة: ١١.

(٢) ينظر: الخلاصة فِي علوم البلاغة: ١٣.

وبيان هذه الأدوات كما يأتي[1]:

١- **الهمزة**: وكما قلنا تطلب لأحد أمرين:

١- **التصور**، وَهُوَ إدراك المفردة كما قلنا، حكم الهمزة التي يطلب التصور أن يليها المسؤول عنه بها، سواء أكان:

أ - مسنداً إليه، قَالَ تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[2].

ب- مسنداً، قَالَ تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

ج- مفعولاً، نحو: أإياي تقصد أم سعيداً؟

د - حالاً، نحو: أراكباً حضرت أم ماشياً؟

هـ- ظرفاً، نحو: أيوم الجمعة قدمت أم الأحد؟، وَقَدْ يستغني عن ذكر المعادل (أم المعادلة)، قَالَ تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[4] فالسياق وقرائن الأحوال تدل على أنَّ المسؤول عنه هو الفاعل، حيث أشاروا إلى الفعل (هذا) فهو معلوم لهم، وهم يشاهدون الأصنام مُحطمّة ويجهلون الفاعل ولذا ولي الفاعل الهمزة (أأنت) والمعنى أأنت فعلت هذا أم غيرك.

٢- **التصديق**، هُوَ إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه، أو عدم

---

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ٧٨، ٧٩؛ وينظر: البلاغة العربية: ١/٢٦٠، ٢٦١؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٤٨.

(٢) سورة البقرة: ١٤٠.

(٣) سورة البقرة: ٦.

(٤) سورة الأنبياء: ٦٢.

وقوعها، بحيث يكون المتكلم خالي الذهن ممّا استفهم عنه فِي جملته، ومصدقاً للجواب إثباتاً بـــ(نعم) ونفياً بـــ(لا)، وهمزة الاستفهام تدل على التصديق إذا أريد بها النسبة، ويكثر التصديق فِي الجملة الفعلية، نحو: أحضر الأمير؟ ويمتنع ذكر المعادل (أم)، فإن جاءت (أم) بعدها، قدرت منقطعة، وتكون بمعنى (بل) فتدل على استئناف الكلام بعدها، كقول الشاعر:

ولستُ أبالي بعد فقدي مالكاً أموتي ناء أم هُـــوَ الآن واقـــعُ

ومثال همزة استفهام التصديق، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾[1].

ويجوز حذف الهمزة وتقديرها ذهناً، قَالَ تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ...﴾[2]، أي: أآمنتم به؟

وللهمزة الصدارة فِي الكلام، وكذلك تتقدم على حروف العطف. قَالَ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾[4].

٣- (هل): يطلب بها التصديق فقط، أي: معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها لا غير، ولا يذكر معها المعادل، وهي نوعان: بسيطة ومركبة[5]:

أ - هل البسيطة، هي التي يستفهم بها عن شيء فِي نفسه، أو عدم

---

(١) سورة الضحى: ٦.

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الروم، من الآية: ٩.

(٤) سورة يونس، من الآية: ٥١.

(٥) ينظر: جواهر البلاغة: ٨٠/١، ٨١؛ وينظر: الإيضاح فِي علوم البلاغة: ٦١/٣؛ وينظر: علوم البلاغة: ٦٦، ٧٢؛ وينظر: البلاغة العربية: ٢٦١/١، ٢٦٢.

وجوده، والأصل فِي لفظة (هل) أن تدخل على جملة فعلية، فيليها فعل لفظاً أو تقديراً، قَالَ تعالى: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾[1].

أمّا إذا أدخلت على الجملة الاسمية فذلك لنكتة بلاغية، وهي جعل ما سيحصل كأنّه حاصل موجود فعلاً، اهتماماً بشأنه أو تأكيداً، قَالَ تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[2].

ب- (هل) المركبة، هي التي يستفهم بها عن وجود شيء لشيء، أو عدم وجوده له. قَالَ تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[4].

و(هل) لا تدخل على:

أ - المنفي: فلا يقال: هل لم يفهم علي؟

ب- المضارع الذي هُوَ للحال: فلا يقال: هل تحتقر عليّاً وَهُوَ شجاع؟

ج- إن: فلا يقال: هل إنّ الأمير مسافر؟

د - الشرط: فلا يقال: هل إذا زرتك تكرمني؟

هـ- حرف العطف: فلا يقال: هل فيتقدم أو هل ثم يتقدم؟

و - اسم بعده فعل: فلا يقال: هل بشراً منا واحداً نتبعه؟

بخلاف الهمزة فإنّها تدخل على جميع ما يذكر.

---

(١) سورة الشورى: ٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٠.

(٣) سورة النمل: ٣٣.

(٤) سورة النازعات: ١٥.

٣- بقية أدوات الاستفهام (أسماء الاستفهام)[١]:

أ - (من) وتأتي اسماً من أسماء الاستفهام، ويستفهم بها تعيين العقلاء. قَالَ تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣].

ب- (ما)، هي اسم من أسماء الاستفهام، بمعنى (أي شيء)، ويستفهم منها لغير العقلاء ويطلب بها أمور ثلاث[٤]:

١- **إيضاح الاسم**: قَالَ تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٥].

٢- **بيان حقيقة المسمى**: قال تعالى: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[٦]، و﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[٧] فالمراد بالاستفهام في الآيتين بيان حقيقة المسمى وصفته التي يعرف بها وقد جاء الجواب على خلاف ما يقتضي الاستفهام في الآية الأولى وعلى خلاف ما يريد السائل ويتوقع في الآية الثانية.

---

(١) ينظر: البلاغة العربية: ١/٢٦٤، ٢٦٥؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٥٣.

(٢) سورة يس: ٥٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٤) ينظر: البلاغة العربية: ١/٢٦٣؛ ينظر: البلاغة الميسرة: ٣٥٣.

(٥) سورة الأنبياء: ٥٢.

(٦) سورة الشعراء: ٢٣.

(٧) سورة الشعراء: ٢٣-٢٤.

٣- **بيان الصفة:** قَالَ تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[١].

ج- (متى) اسم استفهام، ويطلب بها عن الزمان ماضياً كَانَ أم مستقبلاً قَالَ تعالى: ﴿...مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٢].

د- (أيّان)، اسم استفهام، يطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة، وتكون في موضع التهويل والتفخيم. قَالَ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[٣]، قَالَ تعالى: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٤].

ر- (كيف) اسم استفهام، يطلب بها عن الحال. قَالَ تعالى: ﴿...وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾[٥].

ز - (أين)، اسم استفهام، يطلب بها عن المكان. قَالَ تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾[٦].

و- (كم)، اسم استفهام، يطلب بها عن تعيين العدد. قَالَ تعالى: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾[٧].

---

(١) سورة طه: ١٧.

(٢) سورة البقرة: ٢١٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٧.

(٤) سورة القيامة: ٦.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٦) سورة القيامة: ١٠.

(٧) سورة البقرة: ٢١١.

هـ- (وأنى)، اسم استفهام، بمعنى (من أين)، (كيف)، (متى)، (أين). قَالَ تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1]، بمعنى كيف.

قَالَ تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾[2].

قَالَ تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[3] (فأنَّى) في الآية الكريمة تحتمل المعاني الثلاثة، أي: متى شئتم وكيف شئتم، ومن أين شئتم على أن يكون الإتيان في موضع الحرث. وهذا من جمال النسق والترتيب والإعجاز.

قَالَ تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[4]، بمعنى أين.

ي- (أي) اسم استفهام، يطلب بها تمييز أحد المتشاركين فِي أمر يعمهما. قَالَ تعالى: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾[5].

وَقَدْ تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي، فيُستفهم بها عن الشيء، مع العلم به لأغراض أخرى تُفهم من سياق الكلام ودلالته، منها[6]:

١- الأمر: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٤) سورة المنافقون: ٤.

(٥) سورة مريم: ٧٣.

(٦) ينظر: علوم البلاغة: ٦٨؛ وينظر: البلاغة العربية: ١/٢٧٠؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٣٥٥.

(٧) سورة المائدة: ٩١.

٢- النهي: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾[١].

٣- التوبة: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٢].

٤- النفي: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[٣] والمعنى ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، تلك حقيقة مقررة لا يعارض فيها عاقل، لكن فرق بين الدلالة عليها بالاستفهام والدلالة عليها بطريق النفي المعهود.

٥- الإنكار: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾[٥] تجد أنَّ الاستفهام في الآية يُفيد تكذيبهم وإبطال ما قالوه واعتقدوه والمعنى: لم يكن من الله تعالى اصطفاء ولا اتخاذ.

٦- الاستئناس: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٦].

٧- التقرير: وقد يأتي الاستفهام ويراد به التقرير بمعنى طلب الإقرار أو التحقق والإثبات منه كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...﴾[٧] فالمراد

---

(١) سورة التوبة: ١٣.

(٢) سورة يس: ١٠.

(٣) سورة الرحمن: ٦٠.

(٤) سورة الأنعام: ٤٠.

(٥) سورة الإسراء: ٤٠.

(٦) سورة طه: ١٧.

(٧) سورة الشعراء: ١٨.

بالاستفهام تذكير موسى عليه السلام بنشأته وتربيته فيهم وجملة الإقرار بذلك، أملاً من فرعون في أن يقلع ويكف عمّا جاء به من قبل الله تعالى، ولكن أنى له ذلك ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[1].

٨- التعجب: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[2].

(١) سورة الشرح: ١.

(٢) سورة الفرقان: ٧.